

آيات الغزوات في القرآن الكريم آيات غزوة بني النضير نموذجاً

د/ لولوه بنت عبدالله القضبي

Abstract:

The Biography of the Prophet replete with many of the great historical events that should be kept in view placed to be a beacon for us to shines in the darkness of reality and is considered Invasion of Banu Nadir incidents of the Prophet's biography of the great, which evacuated the Prophet of Allah bless him and the Jews of Bani Nadir city yet to be proven slag Taiwithm and treachery and betrayal by a prophet of Allah, peace be upon him and the believers

And Al-Hashr where the lessons and sermons, has been concerned about the side of the legislation, and I talked about the battle (built Nadeer) They are Jews who broke the Covenant with the Prophet peace be upon him Vogelahm for Medina, and in this Surah talk about hypocrites who allied themselves with the Jews, a Surat briefly invasions and Jihad, the shade and the booty, as indicated conditions and provisions, and then commended the migrants and supporters and those who followed them in truth.

The research plan: contains two parts:

Section I: invasions Prophet Muhammad, peace be upon him in the Koran: the battle of Badr, a Great Battle, Invasion of Banu Nadir. Battle of the parties and the Banu Qurayza and Khudaibiya. The battle of Khaybar. And the conquest of Mecca. Battle of nostalgia and the Battle of Tabuk.

Section II: Invasion of Banu Nadir .oha in Al-Hashr: It is intentional Behold God's promenade for the shortfall, proving the overall capacity, have shown the benefits of faith and the effects of the Al-Hashr:

- 1. breeding individuals and the nation on the victory of God Almighty Gel*
- 2. contract of brotherhood among the believers requires a prayer for each other*
- 3. hypocrite distract his allegiance to the enemies of God of the Jews and the idolaters In Sura descriptions of the Jews, which they resisted Allah and His Messenger, and that they are evil and they fear people more than they fear God. And that their appearance indicates the unity and community, but Sraiarham scattered torn, Some of the properties in the Al-Hashr: including: the characteristics of the words: utter them: the first Hashr - forts - vandalized homes -algela -allenh -alogiv -*

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن المملكة العربية السعودية -الرياض

passengers -al_khasash behind walls and the characteristics of the most beautiful names: and this is contained in another Sura, in three sections. Each section of which starts in uniformity, a shorter text of the Qur'an contains a large number of names of Allah, the text contains sixteen name.

And properties in suitable finale Sura with its beginning, where Al-Hashr -as sealed Oadha- Bzbeh God and began Thamidh

المقدمة

إن السيرة النبوية زاخرة بالكثير من الأحداث التاريخية العظيمة التي ينبغي أن توضع نصب الأعين لتكون نبراساً لنا ليعضيء في عتمة الواقع؛ ذلك الواقع الذي فيه من التشويه والتضليل والتزييف الذي تمارسه أعتى القوى وأعجب الأقوام والشعوب، ونعني بها هنا الشعب اليهودي المسيطر على كثير من المقدرات وأزمة الأمور في العالم. وتعتبر غزوة بنى النضير من حوادث السيرة النبوية العظيمة، التي أجلى فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم يهود بنى النضير عن المدينة بعد أن ثبت خيبت طويتهم وغدرهم وخيانتهم بنبي الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين؛ حيث بدؤوا يتصلون بالمشركين والمنافقين ويعملون لصالحهم ضد المسلمين.

و سورة الحشر فيها من العبر والعظات، ولقد عُيِّنَتْ بحانب التشريع، وتحدثت عن غزوة (بنى النضير) وهم اليهود الذين نقضوا العهد مع الرسول -صلى الله عليه وسلم- فأجلاهم عن المدينة المنورة، ولهذا كان ابن عباس -رضي الله عنهما- يسمي هذه السورة "سورة بنى النضير".

وفي هذه السورة الحديث عن المنافقين الذين تحالفوا مع اليهود، وهي بإيجاز سورة الغزوات والجهاد، والفيء والغنيمة، حيث بينت شروطه وأحكامه، ثم أثنت على المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان.

ثم تحدثت عن المنافقين الأشرار الذين تحالفوا مع اليهود ضد المسلمين، ووعظت المؤمنين بتذكر ذلك اليوم الرهيب يوم القيامة الذي لا ينفع فيه حسَب ولا نسب ولا غيرهما.

ثم ختمت بذكر بعض أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا، وبتنزيهه عن صفات النقص والعيب.

خطة البحث : يحتوي على قسمين :

القسم الأول :

أولاً : غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم

ثانياً : الغزوات في القرآن بين الإجمال والتفصيل

القسم الثاني :

غزوة بنى النضير . وتشمل :

أولاً : غزوة بنى النضير تاريخياً

ثانياً : غزوة بنى النضير في القرآن الكريم

ثالثاً : سورة الحشر :

بين يدي السورة :

1. اسم السور

2. مقصود السورة

3. موضوعات السورة

رابعاً : الفوائد والآثار الإيمانية من سورة الحشر

خامساً : تدبر بعض الخصائص في سورة الحشر

الخاتمة

المراجع

القسم الأول : غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم :

لا شك بأن فريضة الجهاد في سبيل الله تعالى من أعظم فرائض الإسلام، بل هي من أحب الأعمال إلى الله تعالى وأعظمها أجراً، كما أن الجهاد في سبيل الله هو ذروة سنام الإسلام، وقد بين النبي عليه الصلاة والسلام فضل الجهاد في سبيل الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لغدوة في سبيل الله أو روحه، خير من الدنيا وما فيها. () ومما يلاحظ لا يذكر في القرآن الكريم لفظ (القتال) أو (الجهاد) إلا وهو مقرون بعبارة (سبيل الله) وذلك يدل على أن الغاية من القتال غاية مقدسة نبيلة هي (إعلاء كلمة الله) لا السيطرة أو المغنم، أو إظهار الشجاعة، أو الاستعلاء في الأرض، وقد وضح هذه الغاية النبيلة قوله عليه السلام : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله .

والجهاد في الإسلام بلا شك له أحكام وضوابط، كما أن الجهاد في الإسلام له أنواع؛ فقد يكون الجهاد فرض عين على كل مسلم حين يحتل شبراً من أرض المسلمين، كما قد يكون الجهاد فرض كفاية إذا فعله البعض ينقط عن الباقيين، ويسمى جهاد الطلب، وينطبق هذا الجهاد على جميع الحملات التي كانت تقوم بها الحوosh

الإسلامية لفتح بلاد الكفر، وقد كانت الدعوة الإسلامية في بدايتها تتسم بطابع السرية، حتى أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يجتمع سراً بالمؤمنين في دار الأرقم في بداية الأمر يتدرسون القرآن، وأمر الدعوة إلى الله تعالى، ثم ساهم إسلام عددٍ من الصحابة الذين اشتهروا بقوتهم في تأييد الدعوة الإسلامية، وفي ذلك الوقت لم يأمر الله تعالى نبيه الكريم بجهاد الكفار؛ ذلك لأن المرحلة كانت تستدعي الصبر على الأذى والتحمل لأن نجاح الدعوة يعتمد على تدرجها، فلا يستطيع أحد أن يقاتل من دون أن يستند إلى قاعدة صلبة قوية، فليس ثمة دولة للمسلمين وقتئذٍ، ولكن وبعد أن هاجر النبي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة وأسس الدولة الإسلامية، نزلت آية مدنية تعطى المؤمنين الإذن في قتال الكافرين، قال تعالى: (أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنْ أَلْفٌ عَلَى أَلْفٍ يَمْلِكُهَا) (الحج 39)؛ فكانت هذه الآية بداية الانطلاق نحو قتال المشركين ودفع أذاهم، فحدثت بعد ذلك معركة بدر الشهيرة؛ حيث انتصر المسلمون وقتل كثير من زعماء قريش، ثم معركة أحد وغيرها. وأخيراً يجب الإشارة إلى أن الجهاد في الإسلام محكومٌ بضوابط بينها النبي الكريم مثل ألا يقتلوا امرأة ولا طفلاً ولا شيخاً ولا عابداً في صومعته، ولا يقطعوا شجرة ولا يهدموا بناءً، قال الله تعالى: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) سورة التوبة، الآية 122:

الجهاد بالنفس فرض كفاية إذا قام به من يكفي من المسلمين سقط الإثم عن الباقين. ((

قال ابن عثيمين: وقوله: وهو فرض كفاية. لا بد فيه من شرط، وهو أن يكون عند المسلمين قدرة وقوة يستطيعون بها القتال، فإن لم يكن لديهم قدرة، فإن إقحام أنفسهم في القتال إلقاء بأنفسهم إلى التهلكة؛ ولهذا لم يوجب الله - سبحانه وتعالى - على المسلمين القتال وهم في مكة؛ لأنهم عاجزون ضعفاء، فلما هاجروا إلى المدينة، وكونوا الدولة الإسلامية، وصار لهم شوكة أمروا بالقتال، وعلى هذا فلا بد من هذا الشرط، وإلا سقط عنهم كسائر الواجبات؛ لأن جميع الواجبات يشترط فيها القدرة؛ لقوله تعالى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) (التغابن، 16)؛ وقوله: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) (البقرة، 1)؛ (286):

عن ابن عباس، قال: "لما أخرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة، قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم ليهلكن "فأنزل الله تعالى (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) (الحج 39)؛ الآية فقال أبو بكر: لقد علمت أنه سيكون قتال. هذا حديث حسن. () وغزار رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعاً وعشرين غزاة، قاتل منها في تسع: بدر، وأحد، والمريسيع أو بنى المصطلق، والخندق، وقريظة، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف، وبعث ستاً وخمسين سرية.

والفرق بين الغزوة والسرية والبعث أن الغزوة يقودها النبي صلى الله عليه وسلم ، أما السرية والبعث فكلاهما بمعنى متقارب ، والمقصود منها ما يبعثه النبي صلى الله عليه وسلم ويجعل عليه قائداً من الصحابة دون أن يكون معهم . لقد سجل القرآن الكريم أحداث وعبر غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم لتكون دروساً للأمة في رحلة حياتها ، تتوارثها الأجيال ، وتتلّى على المسامع ، وتتدبرها العقول إلى يوم الدين .

وقد ورد ذكر الغزوات في القرآن على النحو التالي :

1. غزوة بدر الكبرى : وكانت في السنة الثانية من الهجرة ، هي أكرم المشاهد ، وهو يوم الفرقان الذي أعز الله فيه الإسلام وأهله ودفع الشرك وأهله ، وهذا مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدو ، مع ما كانوا فيه من سوابغ الحديد والعدة الكاملة والخيلاء الزائد فأعز الله رسوله صلى الله عليه وسلم . وكان خروجهم يوم السبت لاثني عشر خلت من رمضان ، واستخلف على المدينة أبا لبابة رضى الله عنه . وخرج معه الأنصار ، ولم تكن قبل ذلك خرجت معه ، وكانت من غير قصد من المسلمين إليها ولا ميعاد ، كما قال تعالى (وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ) آل عمران 42: وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه خبر العير المقبلة من الشام مع أبي سفيان فيها أموال عظيمة لقريش ، فندب أصحابه إليهم ، فأخبرهم بكثرة المال وقلة العدو . ()

سجلت أحداث غزوة بدر ودروسها في سورة آل عمران وسورة الأنفال . على النحو التالي :

ذكر الله تعالى غزوة بدر في أربعة مواضع من القرآن :

الموضع الأول : في سورة آل عمران قال تعالى (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (آل عمران 123 :)

الموضع الثاني : في سورة الأنفال : (من الآية 5) حتى الآية (19)

الموضع الثالث من الآية (41) حتى الآية (49)

الموضع الرابع : في سورة الأنفال قال تعالى (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُبَيِّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (67)) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (68) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (69)) (الأنفال 67 - 69 :)

2. غزوة أحد : وأحداث غزوة أحد ودروسها في ستين آية من سورة آل عمران . على النحو التالي :

ذكر الله تعالى غزوة أحد في موضعين من القرآن :

الموضع الأول في سورة آل عمران : من الآية 121 حتى الآية (128)

الموضع الثاني في سورة آل عمران : من الآية 137 حتى الآية (179)

3. غزوة بنى النضير : ورد ذكر غزوة بنى النضير في موضع واحد في القرآن في سورة الحشر . من الآية 2 حتى الآية (17))

4. غزوة الأحزاب : وفي سورة الأحزاب ذكر غزوة الأحزاب من الآية 9 حتى الآية (25)

5. غزوة بنى قريظة : ورد ذكر غزوة بنى قريظة في سورة الأحزاب ، قال تعالى (وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (26) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوها وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (27))

6. صلح الحديبية : ورد الحديث عن قصة الحديبية في موضعين :

الموضع الأول : في سورة الممتحنة من الآية 10 حتى الآية (12)

الموضع الثاني : في سورة الفتح ذكر صلح الحديبية من الآية 1 حتى الآية (28)

7. غزوة خيبر : ورد ذكر غزوة خيبر في سور الفتح ، قال تعالى (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (18)) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (19)) وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (الفتح 20 - 18) :

8. فتح مكة (فتح الفتح) : كان في رمضان في السنة الثامنة من الهجرة قال ابن القيم (هو الفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحزبه الأمين ، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين ، من أهدى الكفار والمشركين ، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء ، وضربت أطنا بعره على مناكب الجوزاء ، ودخل الناس به في دين الله أفواجا ، وأشرق به وجه الأرض ضياء وابتهاجا ، خرج له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بكتائب الإسلام ، وجنود الرحمن سنة ثمان لعشر مضين من رمضان .) .

ورد ذكر فتح مكة في ثلاثة مواضع في القرآن :

الموضع الأول : في سورة الحديد قال تعالى (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلْ أُولَئِكَ أَكْثَرُ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتِلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (الحديد 10) :

الموضع الثاني في سورة النصر قال تعالى (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا

(2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (النصر 3 - 1): قال ابن كثير: (والمراد بالفتح هاهنا فتح مكة قولاً واحداً، فإن أحياء العرب كانت تتلوم بإسلامها فتح مكة، يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبي. فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجا. فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيماناً، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام، ولله الحمد والمنة) ((

كان نزولها في أوسط أيام التشريق في حجة الوداع

9. غزوة حنين وكانت في السنة الثامنة من الهجرة، وقد ورد ذكر غزوة حنين في موضع واحد من القرآن في سورة التوبة، قال تعالى (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ 25)) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ حُنُودًا لَهُمْ نَزَلَ وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ 26)) ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (التوبة 25: 27)

10. غزوة تبوك: ذكر القرآن غزوة تبوك في موضع واحد من القرآن، في سورة التوبة الآيات من 42 حتى

الآية 129

غزوة تبوك اسم لامع في سماء الغزوات التي ربت المؤمنين، ومحض الصفوف من المنافقين، وأعطت للدولة الإسلامية هيبتها، ووضعتها بحذاء قوة الروم والفرس، فرغم الأزمة الاقتصادية التي كان يعيشها المسلمون، واشتداد الحر، وقرب موسم حنى الثمار، إضافة إلى بعد المسافة، أعلن صلى الله عليه وسلم الجهاد وتجهيز الجيش؛ ليضع أهل الإيمان أياديهم البيضاء في يد الرسول صلى الله عليه وسلم لينطلق الجيش مخلفاً آثار فضائح المنافقين وصفات المتخلفين عن الجهاد، مظهراً طبقة عمالقة الإيمان الذين قادوا الأمة بعد نبيها، وعلى أكتافهم حمل الدين، وبسعيهم وبفضل جهودهم انتشر الإسلام.))

ثانياً: الغزوات في القرآن بين الإجمال والتفصيل

إن غزوة بدر وغزوة حنين وغزوة الأحزاب من أعظم الغزوات في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم التي كان لها أثر كبير في مجريات الأمور في عهد النبوة وما بعده، فغزوة بدر كانت أول معركة بين معسكر الإيمان ومعسكر الكفر، وانتصر فيها حزب الله على حزب الشيطان، وأنزل الله عز وجل فيها الملائكة تأييداً لعباده المؤمنين، وحدث بعد الغزوة شيء من الاختلاف حول موضوع الأسرى وحول موضوع الغنائم، كل ذلك تطلب شيئاً من التفصيل والإطناب حول هذه الغزوة، وقد ذكرت هذه الغزوة في سورة الأنفال، ولذا سماها ابن عباس رضي الله عنه

بـ "سورة بدر"، كما رواه مسلم عنه في صحيحه. عن سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة، قال: التوبة قال: بل هي الفاضحة ما زالت تنزل، ومنهم ومنهم حتى ظنوا أن لا يبقى منا أحد، إلا ذكر فيها، قال: قلت: سورة الأنفال، قال: تلك سورة بدر قال: قلت: فالحشر قال: نزلت في بنى النضير () وذكرت أيضاً في سورة آل عمران من الآية 122 إلى الآية 126 من نفس السورة، وأما غزوة حنين فقد ذكرها الله عز وجل في آيتين من سورة التوبة وهما الآية 25، والآية 26، قال العلامة محمد الطاهر بن عاشور في "التحرير والتنوير" حول ذكر هذه الغزوة: "وتخصيص يوم حنين بالذكر من بين أيام الحروب: لأن المسلمين انهزموا في أثناء النصر ثم عاد إليهم النصر، فتخصيصه بالذكر لما فيه من العبرة بحصول النصر عند امتثال أمر الله ورسوله -عليه الصلاة والسلام- وحصول الهزيمة عند إيثار الحظوظ العاجلة على الامتثال، ففيه مثل وشاهد لحالتى الإيثارين المذكورين آنفاً في قوله تعالى: (أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله) (التوبة 24): ليتنبهوا إلى أن هذا الإيثار قد يعرض في أثناء إيثار آخر، فهم لما خرجوا إلى غزوة حنين كانوا قد أثروا محبة الجهاد على محبة أسبابهم وعلاقاتهم، ثم هم في أثناء الجهاد قد عاودهم إيثار الحظوظ العاجلة على امتثال أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم الذى هو من آثار إيثار محبتها، وهى عبرة دقيقة حصل فيها الضدان.)).

إنها دروس للأمة إذا هى رجعت إلى كتاب ربها وسنة نبيها فاقبست نور طريقها غير عابئة بمن خالفها.

قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) (محمد 7).

قال تعالى (وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ . الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) (الحج 40 ، 41).

قال تعالى (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (النور 55).

القسم الثانى : غزوة بنى النضير .

أولاً : تحقيق لاسم الغزوة وموقعها :

ذكر علماء السير والمفسرون أن غزوة بنى النضير فى ربيع الأول السنة الرابعة من الهجرة . قال ابن هشام : أمر إجماع بنى النضير فى سنة أربع ، وأنزل الله فى هذه الغزوة سورة الحشر بأكملها، فوصف طرد اليهود، وفضح مسلك المنافقين، وبين أحكام الفء، وأثنى على المهاجرين والأنصار، وبين جواز القطع والحرق فى أرض العدو للمصالح

الحربية، وأن ذلك ليس من الفساد فى الأرض، وأوصى المؤمنين بالتزام التقوى والاستعداد للآخرة، ثم ختمها بالثناء على نفسه وبيان أسمائه وصفاته. وكان ابن عباس يسمي سورة الحشر سورة النضير.

كان اليهود يتحرقون على الإسلام والمسلمين إلا أنهم لم يكونوا أصحاب حرب وضرب، بل كانوا أصحاب دس ومؤامرة، فكانوا يجاهرون بالحقد والعداوة، ويختارون أنواعاً من الحيل؛ لإيقاع الإيذاء بالمسلمين دون أن يقوموا للقتال مع ما كان بينهم وبين المسلمين من عهود ومواثيق، وأنهم بعد وقعة بنى قينقاع وقتل كعب بن الأشرف خافوا على أنفسهم فاستكانوا والتزموا الهدوء والسكوت.

ولكنهم بعد وقعة أحد تجرأوا، فكاشفوا بالعداوة والغدر، وأخذوا يتصلون بالمنافقين بالمشركين من أهل مكة سرّاً، ويعملون لصالحهم ضد المسلمين.

وصبر النبى صلى الله عليه وسلم عليهم، حتى ازدادوا جرأة وجسارة بعد وقعة الرجيع وبئر معونة، حتى قاموا بمؤامرة تهدف القضاء على النبى صلى الله عليه وسلم. عندما خرج إليهم فى نفر من أصحابه، وكلمهم أن يعينوه فى دية الكلابيين اللذين قتلها عمرو بن أمية الضمري - وكان ذلك يجب عليهم حسب بنود المعاهدة - فقالوا: نفعل يا أبا القاسم، اجلس ها هنا حتى نقضى حاجتك. فجلس إلى جنب جدار من بيوتهم ينتظر وفاءهم بما وعدوا، وجلس معه أبو بكر وعمر وعلى وطائفة من أصحابه.

وخلأ اليهود بعضهم إلى بعض، وسول لهم الشيطان فتأمروا بقتله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: أيكم يأخذ هذه الرحى، ويصعد فيلقها على رأسه يشدخه بها؟ فقال أشقاها عمرو بن جحاش: أنا. فقال لهم سلام بن مشكم: لا تفعلوا، فوالله ليخبرن بما هممتم به، وإنه لنقض للعهد الذى بيننا وبينه. ولكنهم عزموا على تنفيذ خطتهم.

ونزل جبريل من عند رب العالمين على رسوله صلى الله عليه وسلم يعلمه بما هموا به، فنهض مسرعاً وتوجه إلى المدينة، ولحقه أصحابه فقالوا: نهضت ولم نشعرك، فأخبرهم بما هممت به يهود.

وما لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بعث محمد بن مسلمة إلى بنى النضير يقول لهم: (اخرجوا من المدينة ولا تساكُنوني بها، وقد أجلتكم عشراً، فمن وجد ذلك بها ضربت عنقه). ولم يجد يهود مناصاً من الخروج، فأقاموا أياماً يتجهزون للرحيل، بيد أن رئيس المنافقين - عبد الله بن أبى - بعث إليهم أن اثبتوا وتمنعوا، ولا تخرجوا من دياركم، فإن ألفين يدخلون معكم حصنكم، فيموتون دونكم (لَئِنْ أَخْرَجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ) (الحشر 11): وتنصركم قريظة وحلفاءكم من غطفان.

وهناك عادت لليهود ثقتهم، واستقر رأيهم على المناوأة، وطمع رئيسهم حبي بن أخطب فيما قاله رأس المنافقين،

فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك.

ولا شك أن الموقف كان حرجاً بالنسبة للمسلمين، فإن اشتباكهم بخصوصهم في هذه الفترة المحرجة من تاريخهم لم يكن مأمون العواقب، وقد رأوا كَلْبَ العرب عليهم وفتكهم الشنيع ببعوثهم، ثم إن يهود بنى النضير كانوا على درجة من القوة تجعل استسلامهم بعيد الاحتمال، وتجعل فرض القتال معهم محفوفاً بالمكارة، إلا أن الحال التي حدثت بعد مأساة بئر معونة وما قبلها زادت حساسية المسلمين بجرائم الاغتيال والغدر التي أخذوا يتعرضون لها جماعات وأفراداً، وضاعفت نقيمتهم على مقترفيها، ومن ثم قرروا أن يقاتلوا بنى النضير - بعد همهم باغتيال الرسول صلى الله عليه وسلم - مهما تكن النتائج.

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم جواب حبي بن أخطب كبر وكبر أصحابه، ثم نهض لمناجزة القوم، فاستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وسار إليهم، وعلى بن أبي طالب يحمل اللواء، فلما انتهى إليهم فرض عليهم الحصار.

والتجأ بنو النضير إلى حصونهم، فأقاموا عليها يرمون بالنبل والحجارة، وكانت نخيلهم وبساتينهم عوناً لهم في ذلك، فأمر بقطعها وتحريقها، وفي ذلك يقول حسان:

وهان على سَرَاة بنى لؤى ** حريق بالبويرة مستطير

البويرة : اسم لنخل بنى النضير . وفي ذلك أنزل الله تعالى : (مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللّهِ) (الحشر: 5).

واعترلتهم قريظة، وخانهم عبد الله بن أبي وحلفاؤهم من غطفان، فلم يحاول أحد أن يسوق لهم خيراً، أو يدفع عنهم شراً، ولهذا شبه سبحانه وتعالى قستهم، وجعل مثلهم : (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ) ((الحشر: 16))

ولم يطل الحصار - فقد دام ست ليال فقط، وقيل : خمس عشرة ليلة - حتى قذف الله في قلوبهم الرعب، فاندحروا وتهيأوا للاستسلام ولإلقاء السلاح، فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن نخرج عن المدينة. فأنزلهم على أن يخرجوا عنها بنفوسهم وذرائعهم، وأن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح.

فنزلوا على ذلك، وخربوا بيوتهم بأيديهم، ليحملوا الأبواب والشبابيك، بل حتى حمل بعضهم الأوتاد وجذوع السقف، ثم حملوا النساء والصبيان، وتحملوا على ستمائة بعير، فترحل أكثرهم وأكابرهم كحبي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق إلى خيبر، وذهبت طائفة منهم إلى الشام، وأسلم منهم رجالان فقط : يامين بن عمرو وأبو سعد بن

وهب، فأحرزا أموالهما.

وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاح بنى النضير، واستولى على أرضهم وديارهم وأموالهم، فوجد من السلاح خمسين درعاً وخمسين بيضة، وثلاثمائة وأربعين سيفاً.

وكانت أموال بنى النضير وأرضهم وديارهم خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ يضعها حيث يشاء، ولم يخمسها لأن الله أفاءها عليه، ولم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب، فقسمها بين المهاجرين الأولين خاصة، إلا أنه أعطى أبا دجانة وسهل بن حنيف الأنصاريين لفقيرهما. وكان ينفق منها على أهله نفقة سنة، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكرّاع عدة في سبيل الله.

ثانياً: غزوة بنى النضير في القرآن الكريم :

ورد ذكر غزوة بنى النضير في موضع واحد في القرآن في سورة الحشر: ويمكن بيانها حسب موضوعاتها على النحو التالي :

1- إجلاء بنى النضير وذكر ما حل بهم قال تعالى (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ (2) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْخِلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (3) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (4))

2- ما وقع من قطع النخيل كان بإذن الله، قال تعالى (مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (5))

أخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بنى النضير وقطع، وهي البويرة فنزلت (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله) ((

قال البغوي: (وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل ببني النضير، وتحصنوا بحصونهم، أمر بقطع نخيلهم وإحراقها، فجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا: يا محمد زعمت أنك تريد الإصلاح أفمن الإصلاح عقر الشجرة وقطع النخيل؟ فما وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض؟ فوجد المسلمون في أنفسهم من قولهم، وخشوا أن يكون ذلك فساداً، واختلفوا في ذلك فقال بعضهم: لا تقطعوا فإننا أفاء الله علينا، وقال بعضهم: بل نغيظهم بقطعها فأنزل الله هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه، وتحليل من قطعه من الإثم.)).

قال السعدى : (ولما لام بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فى قطع النخيل ، وزعموا أن ذلك من الفساد وتوصلوا بذلك إلى الطعن بالمسلمين ، أخبر تعالى أن قطع النخيل إن قطعوه أو إبقاءهم إياه إن أبقوه) فبإذن الله) وأمره (وليخزي الفاسقين) حيث سلطكم على قطع نخيلهم وتحريقها ليكون ذلك نكالاً لهم وخزيًا فى الدنيا، ودلاً يعرف به عجزهم التام الذى ما قدروا على استنقاذ نخيلهم الذى هو مادة قوتهم) ()

3- أموال الفىء ومصارفها قال تعالى (وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (6) مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرُّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (7)

تُختم الآيتان بحقيقة اقتصادية وهى قاعدة لحفظ توازن توزيع المال ، قال تعالى (كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ) أى حتى لا يكون الفىء يتداوله الأغنياء منكم خاصة ، وتكثر به؛ مع حاجة الفقراء إليه، واضطراهم له. وفى ذلك من الفساد، ما لا يعلمه إلا الله، كما أن فى اتباع أمر الله وشرعه من المصالح ما لا يدخل تحت الحصر، ولذلك أمر الله بالقاعدة الكلية والأصل العام، فقال : (وَمَا آتَاكُمُ الرُّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) وهذا شامل لأصول الدين وفروعه، ظاهره وباطنه . ()

4- بيان للمستحقين الآخرين من أموال الفىء وفضل المهاجرين والأنصار ، قال تعالى (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُمُورِهِمْ يَتَعَوَّنَ فَضَّلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) (8) وَالَّذِينَ

تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (9) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ (10)

5- وعد المنافقين الكذب لبني النضير قال تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (11) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُكُونَ الْأَذْدَابُ لَمْ يَأْمُرُوا بِالْفِتْنَةِ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنْهَا وَقَالَ اللَّهُ لَمْ يَنْصُرُواكُمْ فِي سِيْرِهِمْ وَلَئِنَّكُمْ إِذَا أَكْثَرْتُمُ الْغُلَامَ لَا تَعْلَمُونَ) (12) لَئِنْ أَشَدَّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) (13) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (14) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (15)) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (16)) (فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (17)

ثالثاً: سورة الحشر

بين يدي السورة

1- اسم السورة :

اشتهرت تسمية هذه السورة سورة الحشر عند المفسرين . وقد ذكر السيوطي في النوع السابع عشر في كتابه الاتفاق أنها سميت بذلك ، ولها اسم آخر غير مشهور ، كما جاء عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما -حيث سماها بسورة بنى النضير ؛ ففي صحيح البخاري عن سعيد بن جبيرة رضي الله عنه ، قال :قلت لابن عباس رضي الله عنهما : سورة الحشر، قال " :قل :سورة النضير " () أى سورة بنى النضير ، فابن جبيرة سماها باسمها المشهور . وابن عباس يسميها سورة بنى النضير . قال ابن عاشور : (ولعله لم يبلغه تسمية النبي صلى الله عليه وسلم إياها سورة الحشر لأن ظاهر كلامه أنه يرى تسميتها سورة بنى النضير لقوله لابن جبيرة قل بنى النضير . وتأول ابن حجر كلام ابن عباس على أنه كره تسميتها ب الحشر لئلا يظن أن المراد بالحشر يوم القيامة . وأحسن من هذا أن ابن عباس أراد أن لها اسمين ، وأن الأمر في قوله :قل ، للتخيير).

فأما وجه تسميتها الحشر فلو قوع لفظ الحشر فيها . ولكونها ذكر فيها حشر بنى النضير من ديارهم أى من قريتهم المسماة الزهرة قريباً من المدينة . فخرجوا إلى بلاد الشام إلى أريحا وأذرعات ، وبعض بيوتهم خرجوا إلى خيبر ، وبعض بيوتهم خرجوا إلى الحيرة .

وأما وجه تسميتها سورة بنى النضير فلأن قصة بنى النضير ذكرت فيها .

وهي مدنية بالاتفاق . وهي الثامنة والتسعون في عداد نزول السور عند جابر بن زيد .

نزلت بعد سورة البينة وقبل سورة النصر . وآيها عشرون ، وأربع آيات ، في جميع العدد . ولا اختلاف فيها .

وكان نزولها عقب إخراج بنى النضير من بلادهم سنة أربع من الهجرة .))

2- مقصود السورة :

بيان ما دل عليه آخر سورة المجادلة من تنزه الله عن النقص ، بإثبات القدرة الشاملة ، لأنه سبحانه وتعالى قوى عزيز . المستلزمة للمعلم التام ، المستلزم للحكمة البالغة المستلزمة للحشر ، المظهر لفلاح المفلح ، وخسارة الخاسر ، على وجه الثبات ، الكاشف أتم كشف لجميع صفات الكمال . وأدل ما فيها على ذلك : تأمل قصة بنى النضير ، المعلم

بأول الحشر . المؤذن بالحشر الحقيقي، بالقدرة على الحشر الأول، بعد إطباق الولي والعدو على ظن أنه لا يكون . فلذا سميت بالحشر، وببنى النضير، لأنه سبحانه حشرهم بقدرته من المدينة الشريفة إلى خيبر . ثم حشرهم - وغيرهم من اليهود - الحشر الثاني من خيبر إلى الشام الذي هو آية الحشر الأعظم إلى أرض المحشر، لقهر هذا النبي الكريم أهل الكتاب، المدعين لأنهم أفضل الناس، وأنهم مؤيدين بما لهم من الدين القويم، على ما يوجب إليه الحديد، كما قهر أهل الأوثان الذين هم عالمون بأنهم بدلوا الدين الصحيح.

3- : موضوعات السورة :

وقع الاتفاق على أنها نزلت في شأن بني النضير، قال البغوي : قال المفسرون : نزلت هذه السورة في بني النضير، (ولم يعينوا ما هو الغرض الذي نزلت فيه . ويظهر أن المقصد منها حكم أموال بني النضير بعد الانتصار عليهم . وموضوعاتها هي :

- 1- تنزيه الله تعالى، وأن ما في السماوات والأرض ملكه، وأنه تعالى الغالب المدبر . (الآية 1))
- 2- ذكر نعمة الله على ما يسر من إجلاء بني النضير، مع ما كانوا عليه من المنعة والحصون والعدة . وتلك آية من آيات تأييد رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلبته على أعدائه . (الآيات 4- 2)
- 3- ذكر ما أجراه المسلمون من إتلاف أموال بني النضير وأحكام ذلك في أموالهم وتعيين مستحقيه من المسلمين . (الآيات 7- 5)

- 4- تعظيم شأن المهاجرين والأنصار والذين يحيثون بعدهم من المؤمنين . (الآيات 10- 8)
- 5- كشف دخائل المنافقين ومواعيدهم لبني النضير أن ينصروهم وكيف كذبوا وعدهم . (الآيات 12- 11)
- 6- وصف بني النضير والمنافقين بالجين وتفرق الكلمة وتنظير حال تغرير المنافقين لليهود بتغريير الشيطان للذين يكفرون بالله، وتنصله من ذلك يوم القيامة فكان عاقبة الجميع الخلود في النار . (الآيات 17- 13)
- 7- خطاب المؤمنين بالأمر بالتقوى والحذر من أحوال أصحاب النار والتذكير بتفاوت حال الفريقين .

الآيات (20- 18)

- 8- بيان عظمة القرآن وجلالته واقتضائه خشوع أهله . وتخلل ذلك إيماء إلى حكمة شرائع انتقال الأموال بين المسلمين بالوجوه التي نظمها الإسلام بحيث لا تشق على أصحاب الأموال . والأمر باتباع ما يشرعه الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم . (الآيات 23- 21)

- 9- ختمت بصفات عظيمة من الصفات الإلهية وأنه سبحانه (يسبح له ما في السماوات والأرض) (الحشر:

24) تزكيه لحال المؤمنين وتعريضاً بالكافرين .

رابعاً : الفوائد والآثار الإيمانية من سورة الحشر :

1- تربية الأفراد والأمة على أن النصر من الله عز وجل - وربط الأحداث بفاعلها الحقيقي وهو الله رب العالمين، وبيان أن جنود الله كثيرة لا يعلمها أحد إلا الله، قال الله تعالى (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ) (المقدر: من الآية 31)، وقال تعالى : (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرِجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ) (الحشر 2:) فالتأمل في هذه الغزوة، يتبين له أن الله - عز وجل - هو الذي أخرج يهود بنى النضير من ديارهم، في حين أن كل الأسباب المادية كانت معهم حتى اعتقدوا أنه لا أحد يستطيع أن يخرجهم من حصونهم لمتانتها وقوتها، لكن الله فاجأهم من حيث لم يحتسبوا، وجاءهم من قلوبهم التي لم يتوقعوا أنهم يهزمون بها، فقذف فيها الرعب، فإذا بهم يهدمون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين.

فعلى المسلمون أن يعلموا أن الله الذي أجلى هولاء وأزالهم بعد أن ظن الناس أن حصونهم مانعتهم قادر على أن يزيل غيرهم من الكافرين والمتكبرين والظالمين، بشرط أن يصلح الناس أحوالهم ويقبلوا على منهج ربهم وينصروا دينه فإذا حققوا ذلك فإن الله سينصرهم وسيهلك عدوهم ؟ . وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ؟

2- الإشارة خلق الانتصار: قال تعالى (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْجِئُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الحشر 9:) يصف الله تعالى الانتصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل المهاجرين بأنهم يعطون المهاجرين أموالهم إيثاراً لهم بها على أنفسهم، ولو كان بهم حاجة وفاقة إلى ما آثروا به من أموالهم على أنفسهم . وهذه صورة وضيفة صادقة تبرز أهم الملامح المميزة للانتصار . هذه المجموعة التي تفردت بصفات، وبلغت إلى آفاق، لولا أنها وقعت بالفعل، لحسبها الناس أحلاماً طائفة، ومثلاً عالياً، لم يتصف بها أحد . ولم يعرف تاريخ البشرية كله حادثاً جماعياً كحادث استقبال الانتصار للمهاجرين . بهذا الحب الكريم . وبهذا البذل السخي . وبهذه المشاركة الرضية . وبهذا التسابق إلى الإيواء واحتمال الأعباء . ويروى أنه لم ينزل مهاجر في دار أنصاري إلا بقرعة . لأن عدد الراغبين في الإيواء المتراحمين عليه أكثر من عدد المهاجرين () عن أبي هريرة " : أن رجلاً من الأنصار بات به ضيف فلم يكن عنده إلا قوته وقوت صبيانه، فقال لامرأته : نومي الصبية، وأطفئي السراج، وقربي للضيف ما عندك "، فنزلت هذه الآية : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) (الحشر 9:)

3- عقد الأخوة بين المؤمنين يقتضى دعاء بعضهم لبعض (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) وهذا دعاء شامل لجميع المؤمنين، السابقين من الصحابة، ومن قبلهم ومن بعدهم، وهذا من فضائل الإيمان أن المؤمنين ينتفع بعضهم ببعض، ويدعو بعضهم لبعض، بسبب المشاركة في الإيمان المقتضى لعقد الأخوة بين المؤمنين التي من فروعها أن يدعو بعضهم لبعض، وأن يحب بعضهم بعضاً. ولهذا ذكر الله في الدعاء نفى الغل عن القلب، الشامل لقليل الغل وكثيره، و الغل: العداوة، كما في تعالى: (ونزعنا ما في صدورهم من غل) (الأعراف/ 43) والغل إذا انتفى ثبت ضده، وهو المحبة بين المؤمنين والموالة والنصح، ونحو ذلك مما هو من حقوق المؤمنين.)).

4- المنافق يصرف ولاءه لأعداء الله من اليهود والمشركين قال تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (11)

5- أوصاف اليهود في السورة :

الوصف الأول :أنهم شاقوا الله ورسوله (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) . ومعنى مشاقتهم لله ورسوله أنهم عصوا ربهم واستباحوا حرمانه وعطلوا أحكامه وشرائعه وأضاعوا حدوده وحقوقه، واليهود سادة هذه الحصال وأسباب انتشارها في العالمين.

الوصف الثاني :أنهم فاسقون (مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ)

6- الوصف الثالث :أنهم يخشون الناس أكثر مما يخشون الله (لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ)

الوصف الرابع :أن مظهرهم يدل على الوحدة والجماعة، ولكن سرائرهم متفرقة ممزقة، يكره بعضهم بعضاً، وليست لأنهم لا عقيدة جامعة ولا وحدة فكرية أو عاطفية تربط بينهم) لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ) في هذه الآية فضح الله تعالى اليهود في هذه السورة كما فضح المنافقين فقال تعالى (لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (14) لا يقدرّون على مقاتلتكم جميعاً محتتمين متساندين، يعنى اليهود والمنافقين إلا كائنين في قرى محصنة بالحنادق والدروب أو من وراء جدر دون أن يصحروا لكم ويبارزوكم، لقذف الله الرعب في قلوبهم، وأن تأييد الله تعالى ونصره معكم .بأسهم بينهم

شديد يعنى أن البأس الشديد الذى يوصفون به إنما هو بينهم إذا اقتتلوا، ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة، لأن الشجاع يجبن والعزيز يذل عند محاربة الله ورسوله تحسبهم جميعاً محتتمين ذوى ألفة واتحاد وقلوبهم شتى متفرقة لا ألفة بينها، يعنى أن بينهم إحنا وعداوات، فلا يتعاضدون حق التعاضد، ولا يرمون عن قوس واحدة. وهذا تحسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم .

خامساً : تدبر بعض الخصائص فى سورة الحشر:

اختصاص سورة الحشر بأمور معينة لم ترد فى أى سورة من القرآن ، ومن ذلك :
أولاً : خصائص فى الألفاظ :

1- أول الحشر :قال الراغب :الحشر :إخراج الجماعة عن مقرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها، ويقال ذلك فى الإنسان وفى غيره، يقال :حشرت السنة مال بنى فلان، أى :أزالتهم عنهم، ولا يقال الحشر إلا فى الجماعة، قال الله تعالى(وابعث فى المداين حاشرين) (الشعراء/ 36) ، وقال تعالى : (والطير محشورة) (ص/ 19) ، وقال عز وجل : (وإذا الوحوش حشرت) (التكوير/ 5) ، وقال : (لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا) (الحشر/ 2) ، (وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون) (النمل/ 17) ، وقال فى صفة القيامة : (وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء) (الأحقاف/ 6) ، (سيحشرهم إليه جميعاً) (النساء/ 172) ، (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) (الكهف/ 47) ، وسمى يوم القيامة يوم الحشر كما سمي يوم البعث .))
دلالة اللفظ :

والمراد به هنا :حشر يهود جزيرة العرب إلى أرض غيرها، أى جمعهم للخروج، وهو بهذا المعنى يرادف الجلاء إذا كان الجلاء لجماعة عظيمة تجمع من متفرق ديار البلاد .

وليس المراد به :حشر يوم القيامة إذ لا مناسبة له هنا ولا يلائم ذكر لفظ أول لأن أول كل شيء إنما يكون متحد النوع مع ما أضيف هو إليه .

2- الحصون :الحصن جمعه حصون، قال الله تعالى : (مانعتهم حصونهم من الله) (الحشر/ 2) ، وقوله عز وجل : (لا يقاتلونكم جميعاً إلا فى قرى محصنة) (الحشر/ 14) ، أى :محجولة بالإحكام كالحصون، وتحصن :إذا اتخذ الحصن مسكناً، ثم يتحوز به فى كل تحرز، ومنه :درع حصينة، لكونها حصناً للبدن وفرس حصان :لكونه حصناً لراكبه .

دلالة اللفظ :

وكان اليهود يتخذون حصوناً يأوون إليها عند ما يغزوهم العدو مثل حصون خيبر.

وكانت لبنى النضير ستة حصون أسماؤها: الكُتَيْبَةُ (بضم الكاف وفتح المثناة الفوقية) وَالْوُطَيْحُ (بفتح الواو وكسر الطاء) وَالسَّلَالِمُ (بضم السين) وَالنَّطَاطَةُ (بفتح النون وفتح الطاء بعدها ألف وبهاء تأنيث آخره) وَالْوَحْدَةُ (بفتح الواو وسكون الخاء المعجمة ودال مهملة) وَشَقُّ (بفتح الشين المعجمة وتشديد القاف).

3- تخريب البيوت في قوله تعالى (يخربون بيوتهم بأيديهم) يقال: حارب المكان خراباً، وهو ضد العمارة، قال الله تعالى: (وسعى في خرابها) (البقرة/ 114)، وقد أخربه، وخربه، قال الله تعالى: (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) (الحشر/ 2)، فتخريبهم بأيديهم إنما كان لئلا تبقى للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وقيل: كان بإجلالهم عنها.

دلالة اللفظ:

ومعنى التخريب فهو حقيقى بالنسبة لكلا المتعلقين فإن المعنى الحقيقى فيهما هو العبرة التي نبه عليها قوله تعالى: (فاعتبروا يا أولى الأبصار)، أى اعتبروا بأن كان تخريب بيوتهم بفعلهم وكانت آلات التخريب من آلاتهم وآلات عدوهم. والاعتبار: النظر في دلالة الأشياء على لوازمها وعواقبها وأسبابها. وهو افتعال من العبرة، وهى الموعظة.

4- الجلاء في قوله تعالى (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) أصل الجلو: الكشف الظاهر، يقال: أجليت القوم عن منازلهم فجلوا عنها، أى: أبرزتهم عنها، وقال الله عز وجل: (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا) (الحشر/ 3). قال الماوردي: والفرق بين الجلاء والإخراج - وإن كان معناهما في الإبعاد واحد - من وجهين: أحدهما: أن الجلاء ما كان مع الأهل والولد، والإخراج قد يكون مع بقاء الأهل والولد. الثانى: أن الجلاء لا يكون إلا لجماعة، والإخراج يكون لجماعة ولو احدى.

دلالة اللفظ:

والمراد بالتعذيب: الألم المحسوس بالأبدان بالقتل والجرح والأسر والإهانة وإلا فإن الإخراج من الديار نكبة ومصيبة لكنها لا تدرك بالحس وإنما تدرك بالوجدان.

ولولا حرف امتناع لوجود، تفيد امتناع جوابها لأجل وجود شرطها، أى وجود تقدير الله جلاء هم سبب لانتهاء تعذيب الله إياهم في الدنيا بعذاب آخر.

وإنما قدر الله لهم الجلاء دون التعذيب في الدنيا لمصلحة اقتضتها حكمته، وهى أن يأخذ المسلمون أرضهم وديارهم وحوادثهم دون إتلاف من نفوس المسلمين مما لا يخلو منه القتال لأن الله أراد استبقاء قوة المسلمين لما

يستقبل من الفتوح، فليس تقدير الحلاء لهم لقصد اللطف بهم وكرامتهم وإن كانوا قد أثروه على الحرب. ومعنى كتب الله عليهم قدر لهم تقديراً كالكتابة في تحقق مضمونه وكان مظهر هذا التقدير الإلهي ما تلاحق بهم من النكبات من حلاء النضير ثم فتح قريظة ثم فتح خيبر. والحلاء: الخروج من الوطن بنية عدم العود.

5- اللينة في قوله تعالى (مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ) قال الزجاج : والنخل كله ما عدا البرني والعجوة يسميه أهل المدينة الألوان، وأصل لينة لونه فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها فقلبت لينة . اللين :ضد الخشونة، ويستعمل ذلك في الأجسام، ثم يستعار للخلق وغيره من المعاني، فيقال :فلان لين، وفلان خشن، وكل واحد منهما يمدح به طورا، ويذم به طورا بحسب اختلاف المواقع .قال تعالى : (فيما رحمة من الله لنت لهم) (آل عمران/ 159) ، وقوله : (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) (الزمر/ 23) فإشارة إلى إذعانهم للحق وقبولهم له بعد تأييدهم منه، وإنكارهم إياه، وقوله : (ما قطعتم من لينة) (الحشر/ 5) أى :من نخلة ناعمة، ومخرجه مخرج فعلة نحو :حنطة، ولا يختص بنوع منه دون نوع . دلالة اللفظ :

اللينة هنا، قيل :اسم عام للنخل، وهذا اختيار ابن جرير .وقيل :نوع خاص منه، وهو ما عدا البرني والعجوة فقط. ونقل ابن جرير عن بعض أهل البصرة يقول :اللينة من اللون، وقال : وإنما سميت لينة؛ لأنها فعلة من فعل وهو اللون، وهو ضرب من النخل، ولكن لما انكسر ما قبلها انقلبت إلى ياء الخ، وهذا الأخير قريب مما عليه أهل المدينة اليوم، حيث يطلقون كلمة :لونة على ما لا يعرفون له اسما خاصا، ولعل كلمة لونة محرفة عن كلمة لينة، ويوجد عند أهل المدينة من أنواع النخيل ما يقرب من سبعين نوعا .وقيل :إن اللينة كل شجرة للينتها بالحياة .

6- الوجيف :في قوله تعالى (فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ) الوجيف :سرعة السير، وأوجفت البعير :أسرعته .قال تعالى : (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) (الحشر/ 6) والوجيف دون التقريب من السير، يقال :وجف الفرس وأوجفته .والمعنى أنه لا شيء لكم فيه إنما هو لرسول الله -صلى الله عليه وسلم -خالصاً يعمل فيه ما أحب، وكذلك كل ما فتح على الأئمة مما لم يوجف المسلمون عليه خيلاً ولا ركاب . دلالة اللفظ :

والإيحاف :نوع من سير الخيل .وهو سير سريع بإيقاع وأريد به الركض للإغارة لأنه يكون سريعا .فلا حق فيه لأحد .والمراد :أن الله سلط عليه رسوله صلى الله عليه وسلم .فالرسول أحق به .

7- الركاب في قوله تعالى (وَلَا رِكَابَ) والركاب الإبل .

دلالة اللفظ :

والركاب : اسم جمع للإبل التي تركب . والمعنى : ما أغرتم عليه بخيل ولا إبل .

8- الدولة في قوله تعالى (كى لا يكون دولة) الدولة والدولة واحدة، وقيل : الدولة في المال، والدولة في الحرب والجاه . وقيل : الدولة اسم الشيء الذي يتداول بعينه، والدولة المصدر . قال تعالى : (كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) (الحشر/ 7) ، وتداول القوم كذا، أى : تناولوه من حيث الدولة، وداول الله كذا بينهم . قال تعالى : (وتلك الأيام نداولها بين الناس) (آل عمران/ 140)

دلالة اللفظ :

وَالدَّوْلَةُ بفتح الدال : النبوة في الغلبة والملك . ولذلك أجمع القراء المشهورون على قراءتها في هذه الآية بضم الدال .

9- تبوأ الدار في قوله تعالى (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ) والتبوء : اتخاذ المباءة وهي البقعة التي يبوء إليها صاحبها، أى يرجع إليها بعد انتشاره في أعماله .

10- الحاجة في قوله تعالى (حاجة مما أوتوا) الحاجة إلى الشيء : الفقر إليه مع محبته، وجمعها : حاج وحاجات وحواليج، وحاج يحوج : احتاج، قال تعالى : (إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها) (يوسف/ 68) ، وقال : (حاجة مما أوتوا) (الحشر/ 9)

دلالة اللفظ :

ومعنى نفى وجدان الاحتياج في صدورهم أنهم لفرط حبهم للمهاجرين صاروا لا يخامر نفوسهم نفوسهم تشوف إلى

أخذ شيء مما أوتيه المهاجرون من فء بنى النضير .

11- الخصاصة : في قوله تعالى (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) (الحشر/ 9) وعبر عن الفقر الذي لم يسد بالخصاصة، كما عبر عنه بالنحلة، وإن شئت قلت من الخصاص، والخص : بيت من قصب أو شجر، وذلك لما يرى فيه من الخصاصة .

دلالة اللفظ :

وجملة (ولو كان بهم خصاصة) في موضع الحال . (ولو) وصلية وهى التي تدل على مجرد تعليق جوابها بشرط

يفيد حالة لا يظن حصول الجواب عند حصولها . والتقدير : لو كان بهم خصاصة لآثروا على أنفسهم فيعلم أن إثارهم في الأحوال التي دون ذلك بالأحرى دون إفادة الامتناع . والخصاصة : شدة الاحتياج .

12- وراء جدر في قوله تعالى (أو من وراء جدر) الجدر : الحائط، إلا أن الحائط يقال اعتباراً بالإحاطة بالمكان، والجدر يقال اعتباراً بالتواء والارتفاع، وجمعه جدر . قال تعالى : (وأما الجدر فكان لفلانين) (الكهف/ 82) ، وقال : (جدارا يريد أن ينقض فأفاه) (الكهف/ 77) ، وقال تعالى : (أو من وراء جدر) (الحشر/ 14) دلالة اللفظ :

والمعنى : لا يهاجمونكم، وإن هاجمتموهم لا يبرزون إليكم ولكنهم يدافعونكم في قرى محصنة أو يقاتلونكم من وراء جدر، أي في الحصون والمعازل ومن وراء الأسوار، وهذا كناية عن مصيرهم إلى الهزيمة إذ ما حارب قوم في عقر دارهم إلا ذلوا كما قال علي رضي الله عنه : وهذا إطلاع لهم على تطمين للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ودخائل الأعداء .

الْجُدُرُ بضم الجيم في قراءة الجمهور جمع جدر . وقرأه ابن كثير وأبو عمرو جَدَارٌ على الأفراد، والمراد الجنس تساوى الجمع .

ثانياً : خصائص في الأسماء الحسنى :

انفردت سورة الحشر بذكر بعض الأسماء الحسنى لله تعالى ، وهذا وارد في آخر السورة ، في ثلاثة مقاطع . يبدأ كل مقطع منها بصفة التوحيد قال تعالى (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ 22) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ 23) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (الحشر/ 23 ، 24) هذا أقصر نص قرآني يحوى عدد كبير من أسماء الله الحسنى ، فالنص يحوى ستة عشر اسماً . هذه الآيات الكريمات قد اشتملت على كثير من أسماء الله الحسنى وأوصافه العلى ، عظيمة الشأن، وبديعة البرهان، فأخبر

أنه الله المألوه المعبود، الذى لا إله إلا هو، وذلك لكماله العظيم، وإحسانه الشامل، وتديره العام، وكل إله سواه فإنه باطل لا يستحق من العبادة مثقال ذرة، لأنه فقير عاجز ناقص، لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً، ثم وصف نفسه بعموم العلم الشامل، لما غاب عن الخلق وما يشاهدونه، وبعموم رحمته التى وسعت كل شيء ووصلت إلى كل حى . ثم كرر عموم إلهيته وانفراده بها، وأنه المالك لجميع الممالك، فالعالم العلوى والسفلى وأهله، الجميع

ممالك لله، فقراء مدبرون . (الْقُدُّوسُ السَّلَامُ) أى :المقدس السالم من كل عيب وآفة ونقص، المعظم الممجد، لأن القدوس يدل على التنزيه عن كل نقص، والتعظيم لله فى أوصافه وجلاله . (الْمُؤْمِنُ) أى :المصدق لرسله وأنبيائه بما جاءوا به، بالآيات البينات، والبراهين القاطعات، والحجج الواضحات . (الْعَزِيزُ) الذى لا يغالب ولا يمانع، بل قد فهر كل شيء، وخضع له كل شيء، (الْجَبَّارُ) الذى فهر جميع العباد، وأذن له سائر الخلق، الذى يجبر الكبير، ويغنى الفقير، (الْمُتَكَبِّرُ) الذى له الكبرياء والعظمة، المنتزه عن جميع العيوب والظلم والحرور . (سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) وهذا تنزيه عام عن كل ما وصفه به من أشرك به وعانده . (هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ) لجميع المخلوقات (الْبَارِئُ) للمبروءات (الْمُصَوِّرُ) للمصورات، وهذه الأسماء متعلقة بالخلق والتدبير والتقدير، وأن ذلك كله قد انفرد الله به، لم يشاركه فيه مشارك . (لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) أى :له الأسماء الكثيرة جدا، التى لا يحصيها ولا يعلمها أحد إلا الله هو، ومع ذلك، فكلها حسنى أى :صفات كمال، بل تدل على أكمل الصفات وأعظمها، لا نقص فى شيء منها بوجه من الوجوه، ومن حسنها أن الله يحبها، ويحب من يحبها، ويحب من عباده أن يدعوه ويسألوه بها . ومن كماله، وأن له الأسماء الحسنى، والصفات العليا، أن جميع من فى السماوات والأرض مفتقرون إليه على الدوام، يسبحون بحمده، ويسألونه حوائجهم، فيعطيهم من فضله وكرمه ما تقتضيه رحمته وحكمته، (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) الذى لا يريد شيئا إلا ويكون، ولا يكون شيئا إلا لحكمة ومصلحة .))

ثالثاً :خصائص فى مناسبة خاتمة السورة مع بدايتها :

1- بدأت سورة الحشر - كما ختمت أيضاً - بتسبيح الله وتحميده قال تعالى (سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)، وختمت بتسبيح الله وتحميده قال تعالى (هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)

2- انفردت بقوله تعالى (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فى بداية السورة ونهايتها، وهذه مناسبة عظيمة لمن تأملها . والسورة تبدأ وتختم بتسبيح الله الذى له ما فى السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم، فيتناسق البدء والختام، مع موضوع السورة، ومع دعوة المؤمنين للتقوى والخشوع والتفكير فى تدبير الله الحكيم.

الخاتمة :

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، الذى بعثه الله هادياً ونذيراً . إن الكتابة والبحث فى سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم مما يُربى المسلم على إدراك عظمة الدين ، وأن الله أراد له الانتشار فى الأرض ، وأن يدخل الناس فى دين الله أفواجا .

وفي بداية الدعوة لم يُشرع الجهاد في سبيل الله لحكمة أرادها الله تعالى ، ويُمكن أن نُلخص أسبابها فيما يلي:
أ - إن المسلمين كانوا في مكة قلة، وهم محصورون فيها ، ولو وقع بينهم وبين المشركين حرب أو قتال لقضوا عليهم ، فشاء الله أن يكثرُوا وأن يكون لهم أنصار وأعوان، وأن يتركزوا قاعدة أمنة تحميها الدولة، فلمَّا هاجروا إلى المدينة المنورة أذن لهم بالقتال بعد أن قويت شوكتهم وكثر عددهم.

ب - كانت الغاية تدريب نفوس المؤمنين على الصبر امتثالاً للأمر، وخضوعاً للقيادة، وانتظاراً للإذن، وقد كان العرب في الجاهلية شديدي الحماسة، لا يصبرون على الضيم، وقد تعودوا الاندفاع والحماسة، فكان لابد من تمرينهم على تحمل الأذى، والصبر على المكروه والخضوع لأمر القيادة العليا، حتى يقع التوازن بين الاندفاع والتروي، والحمية والطاعة، في جماعة هيأتهم إرادة الله لأمر عظيم.

ج - البيئة العربية كانت بيئة نخوة، وكان صبر المسلمين على الأذى - وفيهم الأبطال والشجعان الذين يستطيعون أن يردوا الصاع صاعين - مما يثير النخوة، ويحرك القلوب نحو الإسلام، حصل هذا بالفعل في المحاصرة في الشعب عندما أجمعت قريش على مقاطعة بنى هاشم، كي يتخلوا عن حماية الرسول صلى الله عليه وسلم واشتد الاضطهاد على بنى هاشم، ثارت نفوس لم تؤمن بالإسلام، أخذتها النخوة والنجدة حتى مزقوا الصحيفة التي تعاهد فيها المشركون على المقاطعة، وانتهى ذلك الحصار المشنوم.

د - كان بعض المسلمين في مكة يعيشون مع آبائهم وأهليهم، وكان أهلهم المشركون يعذبونهم ليفتنوهم عن دينهم، فلو أذن لهم أن يدفعوا عن أنفسهم يومذاك، لكان معنى هذا أن تقوم معركة في كل بيت، وليس ذلك من مصلحة الدعوة فلما أحدثت الهجرة وانعزلت الجماعة أبيح لهم القتال.

الهوامش

- 1- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الحكني الشنقيطي الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان 1415هـ
- 2- الإتيقان في علوم القرآن المؤلف : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة 1394 :هـ / 1974 م
- 3- أوضح التفاسير محمد عبد اللطيف بن الخطيب الناشر : المطبعة المصرية ومكتبته الطبعة : السادسة، رمضان 1383هـ - فبراير 1964م
- 4- إعراب القرآن المنسوب للزجاج علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن نور الدين جامع العلوم الأصفهاني الباقولي (المتوفى : نحو 543هـ) تحقيق ودراسة : إبراهيم الإياري
- 5- التحرير والتنوير المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي الناشر : الدار التونسية للنشر تونس سنة النشر 1984 :هـ
- 6- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى 1420هـ
- 7- تفسير القرآن العظيم أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي المحقق : سامي بن محمد سلامة الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة : الثانية 1420هـ - 1999 م
- 8- تفسير الماوردي = النكت والعيون ، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البغدادى، بالماوردي المحقق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان
- 9- جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى : 310هـ) المحقق : أحمد محمد شاكر الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى، 1420هـ - 2000 م
- 10- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري المؤلف : محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي المحقق : محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر : دار طوق النجاة (ترقيم محمد فواد عبد الباقي
- 11- الرحيق المختوم ، صفى الرحمن المباركفوري الناشر : دار الهلال - بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع) الطبعة : الأولى

- 12- زاد المعاد في هدى خير العباد ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الحوزية الناشر : مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت الطبعة : السابعة والعشرون 141 هـ
- 13- السيرة النبوية لابن هشام المؤلف : عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى : 213هـ) تحقيق : مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي
- الناشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة : الثانية، 1375هـ - 1955 م
- 14- السيرة النبوية المؤلف : راغب الحنفي راغب السرجاني مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية
- 15- سنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى تحقيق وتعليق : أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف الناشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر الطبعة : الثانية، 1395هـ
- 16- الشرح الممتع على زاد المستقنع محمد بن صالح بن محمد العنيمين ، دار ابن الجوزي الطبعة : الأولى، 1422
- 17- في ظلال القرآن المؤلف : سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي الناشر : دار الشروق - بيروت - القاهرة الطبعة : السابعة عشر 1412 هـ
- 18- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله الناشر : دار الكتاب العربي بيروت الطبعة : الثالثة 1407 هـ
- 19- المفردات في غريب القرآن أبو القاسم الحسين بن محمد بالراغب الأصفهاني المحقق : صفوان عدنان الداودي الناشر : دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ، الطبعة : الأولى 1412 هـ
- 20- معالم التنزيل في تفسير القرآن ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي المحقق : عبد الرزاق المهدي الناشر : دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة : الأولى ، 1420هـ
- 21- المغني لابن قدامة أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلي ، بابن قدامة المقدسي (المتوفى : 620هـ) الناشر : مكتبة القاهرة الطبعة : بدون طبعة تاريخ النشر 1388 هـ
- 22- مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم . محمد بن عبد الوهاب بن سليمان النجدي الناشر : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة : الأولى، 1418هـ .
- 23- مصابيد النظر للإشراف على مقاصد السور ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي دار النشر : مكتبة المعارف الرياض الطبعة : الأولى 1408 هـ - 1987 م